مِنْ أَجْلِ ثَقَافةٍ شِيعِيَّةٍ زَهرَائِيّةٍ أَصِيلَة مِنْ أَجْلِ نَهضةٍ ثَقَافيّةٍ حُسينيّةٍ زَهرَائِيّةٍ مُتحضِّرة

مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ مَهْدَوِيٍّ زَهرَائِيٍّ رَاقْ

أحاديثٌ في الفناءِ الفاطميّ

عبدُ الحَليم الغِـزّي

منشـورات موقع القمر

أحاديثٌ في
الفناءِ الفاطميّ

يوم الخميس

بتاريخ: 11 جمادى الأولى 1438 هـ

الموافق: 2017/2/9 م

يا زهـــراء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

أحاديثٌ في
الفناء الفاطميّ

عبدُ الحَليم الغِزّي

في المجالس الفاطميّة

بموكب شيعة عليّ عليه السلام/ أسن – ألمانيا

يَا زَهْرَاءُ

بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

اللَّهُمَّ يَا رَبّ فَاطِمَة بِحَقِّ فَاطِمة اِشْفِ صَدْرَ فَاطِمَة بِظهُورِ الحُجَّةِ عَلَيهِ السَّلام..

سؤالٌ وردَ في عدَّةِ رسائل في برنامجٍ قدَّمتهُ على قناةِ القمر الفضائيّة، قد يكون البعضُ منكمْ شاهدهُ، (سُؤالكَ على شاشة القمر) وقد تركتُ الإجابةَ عليهِ في نفسِ البرنامج، ووعدتُ السّائلينَ أن أُجيبَ على سؤالهم في مثلِ هذهِ الليالي، في الليالي الفاطميّة، وغداً هي ليلةُ الثَّالث عشر من شَهرِ جُمادى الأولى، ليلةُ شهادتها صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليها...

السؤالُ عن معنى ومضمونِ ما جاء في أكثرِ من زيارةٍ من زياراتها الشَّريفة: (يَا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللهُ الَّذِيْ خَلَقَكِ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَكِ فَوَجَدَكِ لِمَا امْتَحَنَكِ صَابِرَة) إلى آخر الزِّيارةِ الشَّريفة.

السؤالُ عن مضمونِ وفحوى هذه الكلمات المقتطفة من زيارتها الشَّريفة، وهذا التعبيرُ وردَ في أكثرِ من زيارةٍ من زياراتها، أمرٌ في غايةِ الأهميّةِ تحدَّثت عنهُ كلماتُ المعصومين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين.

يُمكنني أن أُجملهُ في ما جاء في الحديثِ الشَّريف: (حَديثٌ تَدْرِيه خَيْرٌ من أَلْف حَديثٍ تَروِيه) صحيحٌ وردَ في كلماتهم الشَّريفة أنَّهم يقيسون أشياعهم، وبنحوٍ خاصّ يقيسونَ منازلَ علماء شيعتهم بما يُحسنون من رواياتهم عنهُم، وقطعاً أهمّ جُزء في إحسانِ هذهِ الرِّوايات هوَ الموسوعيّةُ والحفظُ، ولكن تبقى الدِّرايةُ هي الأهمّ، كما يقول إمامنا الصّادقُ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه: (اِعْرِفُوا مَنَازِلَ شِيعَتِنَا عِنْدَنَا بِقَدرِ مَا يُحْسِنُونَ مِن رِوايَتِهِم عَنَّا وفَهْمِهِم مِنَّا).

لن أُطيلَ كثيراً في هذه المقدَّمة وأقول: إذا أردنا أن نفهمَ هذهِ الكلمات من زيارتها الشَّريفة: (يَا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللهُ الَّذِيْ خَلَقَكِ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَكِ فَوَجَدَكِ لِمَا امْتَحَنَكِ صَابِرَة) لابُدَّ أن أتناولَ مُفرداتِ هذهِ الكلمات، وبنحوٍ خاصّ أهمّ المفرداتِ حتَّى نستطيعَ أن نصلَ إلى المعنى الإجمالي الَّذي اشتملت عليه هذهِ الكلمات.

أول مُفردةٍ أتناولها: (الْمُمْتَحَنَة).

فنحنُ نخاطبها في الزِّيارةِ الشَّريفة؛ يَا مُمْتَحَنَة: والممتحنةُ مأخوذةٌ من الامتحان، من دون تفصيلٍ وتطويل بشكلٍ موجز سأتحدَّثُ عن المعاني، الامتحانُ يأتي على معنيين:

- الامتحانُ يأتي بمعنى الاختبار.
- والامتحانُ يأتي بمعنى الاصطفاء.

وحتَّى الاختبار فإنَّ الاختبار وسيلةٌ توصلنا إلى الاصطفاء، كيف يستطيع مثلاً الأستاذ في الجامعة، في المدرسة، في أيِّ مكان، أن يصطفي؟ أن يختار؟ أن يُميّز أفضل تلامذته؟! من خلال الاختبار، الاختبارُ هو آلةٌ ووسيلةٌ توصلُ إلى الاصطفاء.

فالامتحانُ على معنيين: الامتحانُ إمّا أن يكون اختباراً، وإمّا أن يكون اصطفاءَ، والاختبارُ كما قلتُ نتيجتهُ الاصطفاء، الاختبار وسيلةٌ، آلةٌ، طريقٌ يُوصلنا إلى الاصطفاء.

آتيكم بمثالٍ أقربَ لكم الفكرةَ فيه:

الطالبُ في الابتدائية وطالبُ الدكتوراة، هذا طالب، وهذا طالب، ويُمكن أن أقول عن طالب الأول الابتدائي إنَّهُ يطلبُ العلم، وعن طالب الدكتوراة إنَّهُ يطلب العلم أيضاً، فهذا يطلبُ العلم، وهذا يطلبُ العلم، ولكن هل العلم الَّذي يطلبهُ الطالبُ في الصَّف الابتدائي الأول كالعلم الذي يطلبه طالب الدكتوراة؟ لا يمكن! الكلمة واحدة هذا يطلب العلم، وهذا يطلبُ العلم، وهذا طالبٌ، وهذا طالب.

فحين أُخاطبُ نفسي أو أُخاطبكم، حين أخاطبُ أيّ أحد بأنَّه مُمتحن أو بأنَّها مُمتحنة، وحين نُخاطبُ فاطمة بأنَّها مُمتحنة الكلام يختلف! الممتحنُ هنا شيء، الممتحنُ هنا شيءٌ آخر..!!

الأمثلةُ كما يقولون تُقرِّبُ من وجهٍ وتُبعِّدُ من وجوهٍ كثيرة، خصوصاً إذا كان هناك فارقٌ كبير بين المثال وبين الَّذي نُريد أن نُمثِّلَ لهُ مثالاً، فحين أقول: فاطمة مُمتحنة، فهل أنَّ فاطمة مرّت بدورٍ من أدوار الاختبار؟ قطعاً لا! لا يُمكن أن يكون ذلك، فلابُدَّ أن يكون المعنى الثَّاني للامتحان وهو الاصطفاء.

فحين نخاطبها: (يَا مُمْتَحَنَة) يعني يا مصطفاة، وليس المراد من الامتحان هنا الاختبار، الكلمة هي هي، كما في المثال الذي ذكرتهُ وضربتهُ لكم، في الأول الابتدائي هو طالب، وطالب الدكتوراة هو طالب، وهذا يطلبُ علماً، وهذا يطلبُ علماً، المصطلحات هي هي، ولكن هناك فارق كبير في المضمون وفارق كبير في الدَّرجة وفي المرتبة.

فكما بيّنتُ قبل قليل من أنَّ الامتحان تارةً يكونُ اختباراً، وتارةً يكونُ اصطفاءَ، حتَّى في عامّة المؤمنين، الامتحان في بعض الأحيان يكونُ اختباراً، وفي بعض الأحيان يكونُ اصطفاءَ!! هذه الأحاديث الَّتي ربّما البعض منكم يحفظُ بعضها، وربّما البعض منكم سَمِعَ بها: (إنَّ حَدِيثَنَا صَعبٌ مُسْتَصْعَبٌ ذَكْوَانٌ أَجْرَد)، (إنَّ أمرنا صَعبٌ مُسْتَصْعَبٌ شَرِيفٌ لا يَحْتَمِلهُ إلَّا نَبِيٌّ مُرْسَل أو مَلَكٌ مُقَرَّب أو عَبْدٌ امتَحَن الله قَلْبَهُ للإِيْمَان) الأنبياء المرسَلون مُصطفون، الملائكة المقرّبون مُصطفون، المؤمنون هنا أيضاً مُصطفون، لا يوجد اختبار هنا!!

لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَل فَإِنَّ من الأَنْبِيَاء مَنْ لَيسَ بِمُرْسَل -الأنبياء المرسلون لهم أكثر من اصطفاء- أو مَلَكٌ مُقَرَّب فإنَّ من الْمَلَائكَة مَن لَيسَ بِمُقَرَّب -فالملائكةُ المقرّبون لهم أكثر من اصفاء، والكلام هو هو- أو عَبْدٌ امْتَحَنَ الله قَلَبَهُ للإِيْمَان -امتحن الله قلبه للإيمان أي اختار قلبهُ للإيمان، أي اصطفى قلبهُ للإيمان-كما جاء في سورة الحجرات.

في الآية الثَّالثة من سورة الحجرات بعد البسملة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ -هؤلاء الَّذين يغُضُّون أصواتهم عند رسول الله- أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ امتحن الله قلوبهم؛ أي اختار قلوبهم!!

أو عَبْدٌ امْتَحَن الله قَلَبَهُ للإِيْمَان -أي اختار قلبهُ للإيمان، امتحن قلوبهم للتّقوى، أي اختار قلوبهم واصطفاها للتَّقوى- فالامتحانُ بمعنى الاصطفاء وبمعنى الاختيار واضحٌ في هذهِ الآية، وواضحٌ في هذه الأحاديث، فالامتحانُ اختبارٌ في بعض الحالات واصطفاءٌ في حالاتٍ أخرى!!

والاصطفاءَ إنَّما يكونُ للذوات الَّتي تحملُ من المواصفات ومن الكمالات الَّتي تجعلها ليست بحاجةٍ لاختبار، هذا هو الاصطفاء، اصطفاء هو اختيار لذوات تحملُ من الكمالات ومن الأوصاف ما يجعلها مُستغنيةً عن الاختبار، ليست بحاجةٍ إلى اختبار..!!

فهُنا حين نُخاطبُ الصِّديقة الكبرى: يَا مُمْتَحَنَة -يعني يا مُصطفاة- يَا مُمْتَحَنَة امْتَحَنَك -اصْطَفَاك- الَّذي خَلَقَك قَبْلَ أنْ يَخْلَقَك -هذا المضمون بيّنتهُ الصِّديقةُ الطَّاهرة في خطبتها- ماذا قالتَ في خطبتها وهي تتحدَّثُ عن أبيها صلَّى اللهُ عليهِ وآله؟!

(وَأَشْهَدُ أنَّ أبِي مُحَمّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه، ماذا قالت عنهُ؟ اخْتَارَهُ وانْتَجَبَهُ قَبْلَ أنْ أرْسَلَه، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنْ اجْتَبَاه، واَصْطَفَاهُ قَبْلَ أنْ ابْتَعَثَه، إذْ الخَلَائقُ بِالغَيبِ مَكْنُونَة، وَفِي سِتْرِ الأهَاوِيلِ مَصُونَة -إذْ الخَلَائقُ بِالغَيبِ مَكْنُونَة وَبِستْرِ الأهَاوِيلِ مَصُونَة- وَبِنِهَايَةِ العَدَمِ مَقْرُونَة) الكلامُ هو هو، نفس المضمون الَّذي جاء في العبارات الَّتي ابتدأتُ بها حديثي المقتطفة من زياراتها الشَّريفة، المضمون هو هو في خطبة الصِّديقة الطَّاهرة.

هذه المفردة الأولى: الممتحنة، والامتحان، فالمراد من الممتحنة المصطفاة، وكما بيّنتُ قبل قليل الاصطفاء هو اختيار لذوات، هذه الذوات تشتمل، تملك من الكمالات الَّتي تجعلها مُستغنيةً عن الاختبار!!

هذا المعنى يُمكن أن يتجلَّى في شيعة أهل البيت، الأحاديث الَّتي وردت عنهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين (إنَّ أمْرَنا صَعبٌ مُسْتَصْعَبٌ لا يَحْتَملهُ -قبل قليل كان الحديث يحتملهُ- لا يَحْتَملهُ لا نَبِيٌّ مُرسَل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا عَبْدٌ امتحَن اللهُ قَلبَهُ للإِيمَان، فَمَن يَحتَملهُ يابنَ رَسُولِ الله؟ قَالَ: مَن شِئْنَا) من شِئْنَا هؤلاء هُم شيعتهم، قد يكونون من الأنبياء المرسلين، قد يكونون من الملائكة المقرّبين، قد يكونون من بينِ كُلِّ أشياعهم عبرَ الأجيالِ والقرون!! من كُلِّ أصناف شيعتهم.

الإمام ماذا قال؟ قال: (مَن شِئْنَا) من شِئْنَا يعني من دونِ اختبار، من دون امتحان، لم يتحدَّث الإمامُ هُنا عن امتحانٍ أو عن اختبار، قال: مَن شِئْنَا (فَمَن يَحتَملهُ يابنَ رَسُولِ الله؟ قَالَ: مَن شِئْنَا) قطعاً مشيئتهم تكونُ مُبتنيةً على الحكمة، وحينما تكونُ مشيئتهم مُبتنيةً على الحكمة هذا يعني أنَّ الذوات المختارة هي مُستغنية عن الامتحان والاختبار!! فإذا كان هذا المعنى يجري في شيعتهم، فلا حاجة للحديثِ عن تطبيق هذا المعنى فيهم صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين، هذه المفردة الأولى؛ الممتحنة، الامتحان.

المفردة الثَّانية: وهي مفردةُ (الخلق):

يَا مُمْتَحَنَةُ امتَحنَكِ اللهُ الَّذي خَلَقَكِ قَبْلَ أنْ يَخلُقَكِ: حين الحديث عن الخلق هذا موضوعٌ واسعٌ جدَّاً، ولكنّني آتيكم بمثالٍ أقرَبُ الفكرةَ وبعدَ ذلك سأتحدَّثُ عن الموضوع بشكلٍ موجز:

الأفلام السينمائية الَّتي تحكي لنا حياة شخصيةٍ من الشخصيات في التأريخ، أيّاً كانت، شخصية سياسية، حياةُ نبيٍ من الأنبياء، حياةُ شاعرٍ، موسيقيٍ، مُفكّرٍ، عبَر ما شئت، الأفلام مثلاً عن الحرب العالمية الثَّانية، هناك حدثٌ وقعَ على الأرض، فعلاً هناك حرب عالمية ثانية وقعت على الأرض بتفاصيلها، وقعت هذه الأحداث على الأرض، ونُفِّذت بشكلٍ حقيقي، حروب، طائرات، دماء، إلى آخرِ ما جرى في أيَّامِ الحرب العالميةِ الثَّانية، وهكذا سائرَ الأحداثِ في التأريخ، يأتي كاتبُ السيناريو، وقطعاً قبل كتابة السيناريو لابُدَّ من قصّة، لابُدَّ من حكاية، لابُدَّ من رجوعٍ إلى سَردٍ تأريخي مُعيّن، فكاتب السيناريو في بعض الأحيان يُمهِّدُ لهُ كاتبُ القصّة، يكتب لهُ قصّة، في بعض الأحيان يكتب لهُ حواراً ثُمّ يتحوّل إلى سيناريو سينمائي، فلنفترض أنَّ كاتب السيناريو رجعَ إلى كُتب التأريخ، وإلى مذكرات العسكريين والسياسيين الَّذين عاصروا تلكَ المرحلة، ومن خلال المعلومات المتوفِّرة في هذهِ الكُتب كتبَ السيناريو.

هُناك أحداث وقعت على الأرض وهي أحداث الحرب، والتفاصيل الَّتي جرت في الكواليس أو على المشهد العام أمام النّاس.

وهناك مُؤرِّخون كتبوا الوقائع فصوّروا تلك الوقائع الموجودة على الأرض صوّروها في كُتب التأريخ.

ثُمّ جاء كاتب السيناريو فحوّلَ هذه الأحداث إلى دايلوكات ومقاطع، وكتبها بشكل سيناريو، يمكن أن يُنفَّذَ سينمائياً.

ثُمّ بدأت عملية الإنتاج والإخراج السينمائي.

وشيئاً فشيئاً إلى أن وصل بشكل الشريط السينمائي، ووضعت الأحداث في هذا الشريط السينمائي الموضوع على هذه البكرة.

ثُمّ يُؤتى بهذه البكرة وتُوضع على ماكنة العرض السينمائي.

وتُشغَّل ماكنة العرض السينمائي وعلى شاشة السينما تبدأ الأحداث تتحرّك.

هذه مراحل عديدة:

- هناك مرحلة الخروج على الشاشة.
- هناك مرحلة وجود الأحداث على نفس الشريط الموجود الملفوف على البكرة.
- هناك مرحلة الإنتاج والإخراج والاختيار، ربّما يُصوّرون في بعض الأحيان أكثر من ألف ساعة، ولكن يختارون منها ساعة ونصف أو ساعتين.
- وقبل عملية الإنتاج والإخراج هناك السيناريو.
- وقبل السيناريو هُناك القصّة أو السرد التأريخي.

هذه كلُّها مراحل خلق:

- هناك عملية خلق حقيقي الأحداث الَّتي جرت على الأرض.
- وهناك عملية خلق حدثت في كُتب التأريخ، هذا سرد عملية خلق.
- هناك عملية خلق أخرى في السيناريو.
- هناك عملية خلق أخرى في العمل السينمائي إنتاجاً وإخراجاً.
- هناك عملية خلق أخرى إلى أن وُجدت الأحداث على الشريط السينمائي.
- هناك عملية خلق أخرى حين عُرضت على الشاشة.

الخلق هكذا، إذا أردنا أن نعود إلى حقائق الخلق الَّتي تحدَّثَ عنها الكتابُ الكريم والعِترةُ الطَّاهرة: نحنُ مررنا بمراحل كثيرة جداً حتَّى وصلنا إلى هنا.

أصلاً في منظور الحُكماء، في كُتب الحكمة: نحنُ نُمثِّل الصّورة، المادة الحقيقية لهذه الصّورة موجودة في مكانٍ آخر، يعني نحنُ الصّورة الموجودة على شاشة السينما، ماكنةُ السينما الَّتي تبثُّ أشعتها موجودة في مكان آخر، هذا العالم بمثابة صُورة، هناك شيء وراء هذهِ الصّورة.

الموضوع مُعقَّد ليست بهذه السهولة، لكنَّني أريد أن أُبَيِّن ما جاء في عبارات الزِّيارة الشَّريفة، لهذا اضطُررت أن أتناول هذا المطلب وإلَّا هذا المطلب مطلب واسع.

وبشكل موجز وسريع أشير إلى مراتبِ خلقهم صلواتُ اللهِ عليهم، بشكل موجز وسريع:

أعلى مراتب المخلوقات هم أو المخلوقات الَّتي صدرت من أنوارهم؟ أعلى مراتب المخلوقات هو وجود هذه المخلوقات في العلم الإلهي، نحنُ موجودون في علم الله قبل وجودنا، وجودنا في علمِ الله أعلى رُتبةً من وجودنا على الأرض، ولذلك نحنُ هنا صورة، فأعلى هذهِ المراتب وأعلى منازل المخلوقات هو وجود المخلوقات في علمِ اللهِ قبلَ تحقُّقِها، وهذهِ أعلى مراتب الوجود أن نكون موجودين في علم الله!

الحديثُ عنهم والحديثُ عن فاطمة إذ الزِّيارةُ زيارةُ فاطمة، وجودها في علم الله هو أعلى مراتب وجودها، ووجودها في علم الله بما لها من المنزلة عند الله، بعدَ ذلك جاءت مرتبةٌ من مراتبِ خَلقها حين تحدَّثت الأحاديث فقالت: إنَّ اللهَ خَلقَ اسمهُ الأعظم بِكُلِّ التفاصيل الكثيرة الَّتي أوردتها كلماتهم الشَّريفة، ولا مجال لذكرها في مثلِ هذا المقام الَّذي لا يسمحُ لي بالتطويل الكثير، ما جاء في أدعيتهم الشَّريفة، في دعاء ليلة المبعث مثلاً، في يوم المبعث وفي سائرِ أدعيتهم: (وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرّ فِي ظِلِّك فَلَا يَخْرُجُ مِنكَ إِلَى غَيْرِك) هذا خلقٌ قبل الخلق.

(يَا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللهُ الَّذي خَلَقَكِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكِ) نحنُ نُخاطبُ في هذه الزِّيارة نُخاطب فاطمة المتجلِّية في الأرض! نحنُ نزورها نُخاطبها، نُخاطبُ الصدِّيقةَ الكبرى، نُخاطبُ أمّ الحَسَنِ والحُسَين، أمّا الحديثُ عن الاسمِ الأعظَم وهو تجلٍّ لفاطمةَ الَّتي كانت في علمِ الله وتلك هي أعلى المراتب، وجودنا هنا وجودٌ بعيدٌ عن الله، وجودنا في علم الله هو أعلى المراتب، صحيحٌ إنَّ الله سُبحانهُ وتعالى: (قريبٌ في بُعده وبعيدٌ في قُربه، وداخلٌ في الأشياء لا كشيء في شيء) وكما جاء في أحاديثهم الشَّريفة عن سيد الأوصياء: (مَا رَأيتُ شَيئاً إلَّا وَرَأيتُ الله قَبْلَهُ وبَعْدَهُ ومَعَهُ وَفيه) قطعاً وفيه لا بمعنى الملامسة، لا كدخول الأشياء في الأشياء، ولا بمعنى الممازجة كممازجة الأشياء للأشياء.

الَّذي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرّ فِي ظِلِّك فَلَا يَخْرُجُ مِنكَ إِلَى غَيْرِك -لا علاقةَ فيما بينهُ وبين المخلوقات الأخرى فهو مُستقرّ هناك- الَّذي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرّ فِي ظِلِّك -هو نفس الكلمة الَّتي وردت عنهم- (أوَّل مَا خَلَقَ الله الْمَشيئَة خَلَقَها بِنَفسِهَا -كيف لي أن أتصوّر هذا المعنى؟ لا أستطيع- خَلَقَ المشيئة بنفسها ثُمّ خَلَقَ الأشياء بالمشيئة) المشيئةُ هي هذه الَّتي خلقها فاستقرّت في ظلّهِ فلا تخرجُ منهُ إلى غيره، هي هذه المشيئةُ، هذا هنا مُصطلح، عنوان ورد في كلماتهم الشَّريفة.

ما جاء في خطابه سبحانهُ وتعالى للذَّات الأحمدية: (يَا أَحْمَد خَلَقْتُكَ لِأَجْلِي) الخطابُ هنا للذَّات الإنسانية الَّتي تجلَّت في المعنى الكامل في الخطابِ لأحمد، وأحمد الذَّاتُ الأحمديّة؛ هي اسمٌ وعنوانٌ لتلك المشيئة، لذلك الاسم الأعظم الَّذي خلقهُ فاستقرّ في ظلّهِ فلا يخرجُ منهُ إلى غيره. خلقتك لأجلي.

هذه المعاني وغيرها من مراتب خلقهم هذه كلُّها قبل الخَلق، قبل الخَلق الَّذي نحن نتحدَّثُ عنه في عالم الشَّهادة أو في عالم الطبيعة.

مُصطلح الخَلق الَّذي يتردَّد في القُرآن الكريم وفي الأدعية وفي الرِّوايات في الأعمِّ الأغلب إنَّهُ يتحدَّثُ عن عالم الشَّهادة عن هذا العالم، عن عالم الطبيعة عن هذا العالم، عن هذا العالم الَّذي كما قلتُ قبل قليل هو الصّورة، الأصل الَّذي يمدُّ هذا العالم بالوجود، كما في المثال الَّذي أشرتُ إليه ماكنة السينما والصّورة الموجودة على الشاشة، نحنُ هُنا بمثابة هذه الصّورة الموجود على الشَّاشة، هذه رتبتنا في هذا العالم، رتبة هذا العالم في درجات الخَلق هو بهذه الرتبة، الرتَب العالية من الخَلق هي وراء هذا العالم.

فالخطابُ هُنا للصديقة الطَّاهرة: يا مُمتحنةُ -يعني يا مُصطفاة- امتحنك -يعني اصطفاك، اختارك، اجتباك- يا مُمتحنةُ -يا مُصطفاةُ- اصطَفَاكِ الَّذي خَلَقَكِ قَبلَ أن يَخلقك -الاصطفاء في تلك المراتب العالية- والحديث عن الخَلق هو الحديث عن هذا الخَلق الَّذي تتجلَّى مراتبه، تتجلَّى آفاقهُ، في هذا العالم الَّذي نعيشه، في عالم الطبيعة، في عالم الشَّهادة، عبر ما شِئت من التعبير.

المفردة الثَّالثة: (الصّابرة).

فَوَجَدَك لَمَا امتَحنَكِ صَابِرَة: أيضاً الكلام هو هو الَّذي تقدَّم في الممتحنة، فهل هذا الصّبر هو الصّبرُ الَّذي يرتبطُ بنا؟ الصَّبرُ الَّذي يرتبطُ بنا هو حبسٌ للنفوس.

حينما تأتي الآيةُ المئتان من سورة آلِ عمران، آخر آية من سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ اصبِروا وصَابِروا ورَابطوا.

اصبروا: كما في أحاديثِ أهل البيت، اصبروا على الفرائض، اصبروا على دينكم.

وصابروا: المصابرة أكثر من الصّبر، وصابروا أعداءكم.

ورابطوا: والمرابطة أكثر من الصّبر، والمصابرة، ورابطوا إمامكم.

واتّقوا الله لعلَّكم: لعلَّكم، لعلَّ كما يقول أهلُ العربية تُفيد الترجّي أو التوقّع، يُرجى لكم، يُمكن أنَّكم تُفْلِحون.

هو الصّبر أين؟ نحنُ نبحث عن الصّبر فلا نجدهُ، ولكن بعد الصّبرِ في هذه الآية هناك مُصابرة وهناك مرابطة وهناك تقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ﴾ هناك إمكانية أن تُفْلِحوا بعد الصّبرِ والمصابرة والمرابطة والتّقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

يُمكن أن نجمع هذه العناوين فيما جاء في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ في كلماتهم الشَّريفة، قالَ: قَد أفلحَ الـمُسَلِّمون، الـمُسَلِّمون هم الَّذين يُفْلِحُون ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ وهنا الآية استعملت تعبير: (قد) وقد إذا جاء قبل الفعل الماضي للتأكيد، كما يقولون لتحقّق وقوع الفعل ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أكيداً، قطعاً، من هم هؤلاء المؤمنون؟ الـمُسَلِّمون، كما تقول كلماتهم الشَّريفة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

الآية في سورة آل عمران فصّلت، قالت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ -كل هذه التفاصيل- هذه المقدّمات كلُّها تقود إلى التسليم.

فحينما تأتي الزِّيارة وتصفُ فاطمة بأنَّها صابرة، هل هي بهذه المعاني؟ قطعاً لا، نعود إلى نفس المثال طالبُ الابتدائية وطالبُ الدكتوراة، هذا طالب وهذا طالب، أنا صابر، أنتَ صابر، وفاطمة صابرة، لكن المعنى مُختلف، مع أنَّ هذه الأمثلة كما قلت: تُقرِّبُ من وجهٍ وتُبَعِّدُ من وجوهٍ كثيرة.

فَوَجَدَكَ لِمَا امْتَحَنَكَ صَابِرَةَ: صابرة هذه لا تقودني إلى الصّبر الَّذي يرتبطُ بي وبكم، صابرة هذه تقودني إلى اسم الصّبور، من الأسماء الحسنى، من الأسماء التسعة والتسعين الحُسنى من أسماء الله؛ الصّبور، وجاء في أدعيتنا: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ يَا صَبُور) الصّابرةُ هنا تأخذني إلى هذا الاتِّجاه لا تأخذني إلى الاتِّجاه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾.

بشكل موجز ما معنى الصّبور من أسماء الله سبحانهُ وتعالى؟ من أسمائه الحليم، ومن أسمائه الصَّبور.

الحليمُ: في جهة من جهات معناه هو الَّذي لا يُعاقبُ العاصي! والعاصي إذا نَظر إلى اسمِ الحليم فإنَّهُ يُحسنُ الظنَّ في أنَّ الله سبحانهُ وتعالى سوف لن يُعاقبهُ، فهو بين يدي الحليم والحليمُ لا يُعاقِب!

أمّا الصّبورُ: الصّبورُ في جهةٍ من جهات معناه أنا لست هنا في مقام شرح هذه الأسماء، ما يرتبطُ بالموضوع الَّذي بين يدي، الصّبور في جهة من معناه ومضمونه؛ هو الَّذي لا يُباشر العقوبة معَ الَّذي يستحقَّ العقوبة، ولكن لا ضمان يُمكن أن يُعاقب، الصّبور يُمكن أن أُقرِّبَ معناها بالحكيم، فهو الَّذي يجعلُ لكلِّ شيء قدراً معلوماً! وهو الَّذي يرسمُ الآجالَ والمقادير ولا يستعجلُ فيها لحكمته! المضمون الَّذي نقرأهُ على سبيل المثال في دعاء الافتتاح الَّذي يُقْرَأ في ليالي شهر رمضان، وهو مرويّ عن إمام زماننا الحُجَّة بن الحَسَن صلواتُ الله وسلامهُ عليه: (فَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْك -إن أبطأ عنِّي ما أريد، إنْ أبطأَ عنِّي ما طلبتهُ منك، إنْ أبطأت عنِّي إجابةُ الدُّعاء- فَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْك وَلَعَلَّ الَّذي أَبْطَأَ عَنِّي هُو خَيرٌ لِي لعلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الأُمُور، فَلَم أَرَى مَوْلاً كَرِيماً أَصْبَرَ عَلَى عَبْدٍ لَئِيمٍ مِّنْكَ عَلَيّ يَا رَب -الحديث هنا عن الصّبور، هنا الباري سبحانهُ وتعالى لا يستجيبُ للعبد لمصلحته، هناك حكمة، هناك قوانين، هناك قواعد، هناك نظام- فَلَم أَرَى مَوْلاً كَرِيماً أَصْبَرَ عَلَى عَبْدٍ لَئِيمٍ مِّنْكَ عَلَيّ يَا رَبِّ).

الصّابرةُ هنا: بالضَّبط إذا أردنا أن نُدقِّق في فحواها الحقيقي تعني القَيمة! الصّابرة هنا بمعنى القَيمة، القَيمة هي الَّتي تتولَّى تسيير الأمر كما هو الحال في مثال الأم مثلاً، في مثال الأب، فالأم والأب لا يُمكن أن يُعطيا لصغارهما كلَّ ما يُريدون، هناك برنامج يرسمهُ الأب، ترسمهُ الأم في تنشئة، في تربية، في رعاية أولادهما، وكما قُلتُ الأمثلةُ تُقَرِّبُ من وجه وتُبَعِّدُ من وجوه، ولكن كيف لي أن أوضِّح المطالب، لابُدَّ من أمثلة لتوضيح المطلب، ففاطمةُ القَيمةُ، القَيمة يعني هناك برنامج، هناك مخطَّط! هو نفس المضمون الموجود في سورة القدر: من كُلِّ أمرٍ ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ بأيِّ شيء؟ ﴿مِن كُلِّ أَمْرٍ﴾ بكلِّ أمر، هناك برنامج مرسوم لكلِّ أمر، هناك خارطة كاملة، وهذه الخارطة لابُدَّ أن تجري بحسب موازينها والموازين ماذا تقتضي؟ تقتضي أن لا يسبق شيءٌ بحسب تقدير الحكمة على شيء آخر! وهذا يقتضي الصّبر في تنفيذ البرنامج، هذا الصّبر يكونُ لحاجة المخلوقِ ولحاجة النِّظام، فالصّابرةُ هنا هي القَيمة.

من خلالِ هذا المعنى الَّذي أجملت مفرداتهُ سيكون بهذا الشكل الموجز:

يَا مُمتحنَةُ -يا مُصطفاةُ- امتحنَك اللهَ -اصْطَفَاك الله- قَبلَ أَنْ يَخلُقَك -قبلَ أنْ يَخلُقَك؛ قبلَ أن تظهري في هذا العالم! لأنَّ عبارة الخَلق الَّتي تتردَّدُ في آيات الكتاب الكريم، وفي كلماتهم، وفي الأدعية، وفي الزِّيارات، تتحدَّثُ

عن هذا العالم الَّذي نحنُ فيه نعيشُ فيه- فوجَدَكَ لِمَا امتحنك -للاصطفاء الَّذي اصطُفيتَ به- صَابِرَة: هو نفس معنى القَيمة، وإلَّا ليس الحديث عن الَّذي جرى على الصِّديقة الطَّاهرة فيما بين البابِ والجدار!

إذا نُكمل الزِّيارة ماذا ستقول العبارات؟: (فَوَجَدَكَ لَمَا امتَحَنَكَ صَابِرَة وَزَعَمْنَا أَنَّا لَكَ أَوْلِيَاء -وَصَادِقُونَ- وَزَعَمْنَا أَنَّا لَكَ أَوْلِيَاء ومُصَدِّقُونَ وصَابِرُونَ -صابرون هنا ليس بمعنى صابرة، صابرون بمعنى التسليم هنا- وَزَعَمْنَا أَنَّا لَكَ أَوْلِيَاء ومُصَدِّقُونَ وصَابِرُونَ لِكُلِّ مَا أَتَى بِهِ أَبُوك وأَتَى بِهِ وَصِيُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِمَا وآلِهِمَا، فإنَّا نَسْأَلُك -إنَّا نسأَلُ القَيمة هنا، ليس الحديث عن المصيبة- فإنَّا نَسْأَلُك إنْ كُنَّا صَدَّقْنَاك إلَّا أَلْحَقْتنَا بِتَصْدِيقنَا لَهُمَا لِنُبَشِّر أَنْفُسَنَا بَأَنَّا قَد طَهُرْنَا بِوِلَايَتِك) الحديث أصلاً ليس في أجواء ظُلامة الصِّديقة الطَّاهرة، ولا في أجواء المصيبة، الحديث هنا في أجواء القيمومة على الدِّين، في أجواء القيمومة على الخَلق، فلذلك هذه العبارات وهذه الألفاظ تتحدَّثُ في جهة أخرى غير جهة المصاب أو الظُّلامة الَّتي جرت على الصِّديقة الطَّاهرة في العالم الأرضي.

يَا مُمْتَحَنَةُ امتَحَنَك اللهُ الَّذي خَلَقَك قَبْلَ أنْ يَخْلُقَك فَوَجَدَك لِمَا امتَحَنَك صَابِرَة -ونستمرّ في الزِّيارة- وَزَعَمْنَا أَنَّا لَكَ أَوْلِيَاء -لم تتحدَّث الزِّيارة هنا مثلاً: وزعمنا أنَّنا نُواليك ونُعادي أعدائك وإنَّنا حربٌ لِمَن حاربَك، الزِّيارة تتحدَّث هنا عن أصل العقيدة والدِّين، الَّتي ترتبطُ بالطهارة، وكلُّ هذه المعاني تعودُ إلى شؤون القيمومة على الدِّين- وَزَعَمْنَا أَنَّا لَكَ أَوْلِيَاء ومُصَدِّقُونَ وصَابِرُونَ لِكُلِّ مَا أَتَانَا بِهِ أَبُوك وأَتَى بِهِ وَصِيُّهُ -لا وجود لذكرِ أعدائها، الحديث عن الدِّين هنا، عن قيمومة الدِّين- فإنَّا نَسْأَلُك إنْ كُنَّا صَدَّقْنَاك إلَّا أَلْحَقْتنَا بِتَصْدِيقنَا لَهُمَا لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بَأَنَّا قَد طَهُرْنَا بِوِلَايَتِك، أنا لا أريد أن أتشعّبَ كثيراً في هذه المطالب ولكنَّني أعتقد أنَّ ما بيّنتهُ يُمكن أن يُقرِّبَ المعنى ولو بشكلٍ إجمالي.

هناك قضيّةٌ مهمّةٌ جداً:

إذا أردنا أن نتدبّر في آياتِ الكتابِ الكريم، وإذا أردنا أن نتدبّر في كلماتهم الشَّريفة، في زياراتهم، في أدعيتهم، هناك قضيّةٌ يبتني عليها هذا الوجود، يبتني عليها هذا الكون، هذا الوجود وهذا الكون مبني على طبقات، مبني على مراتب، وفي كلِّ مرتبة من هذه المراتب هناك ظهورٌ لأسماء الله الحُسنى، فكلُّ رزقٍ بكلِّ أشكاله منبعهُ الرزَّاق، والرزَّاق اسمٌ من أسمائه وصفةٌ من صفاته، وكلُّ رحمة في هذا الوجود في كُلِّ الطبقات هي من منبعِ الرّحيمِ ومن منبع الرّحمن، وهكذا كُلُّ شيء حولنا هو يعودُ إلى أصله، هذا هو الَّذي قُلتهُ قبل قليل من أنَّنا صورة، وهذه الصّور لها مادة، لها جهة حقيقية، كل ما في هذا الوجود منابعهُ الأسماءُ الحُسنى، بالضَّبط المثال الَّذي أشرتُ إليه؛ ماكنة السينما والصورة المتحرّكة على الشاشة، هناك صورة متحرّكة على الشاشة، أحداث وقائع نراها على شاشة السينما ولكن المنبع الماكنة، فما من رحمة في هذا الوجود إلَّا وهي تعود إلى منبعها الرّحمن والرّحيم، وما من رزقٍ إلَّا ويعود إلى منبعه الرزَّاق، وما من قُدرة عندنا إلَّا وتعود إلى منبعها القادر، لذا حين نخاطبهُ في دعاء البهاء: (اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ من قُدْرَتِكَ بِالقُدْرَةِ الَّتي اسْتَطَلتَ بِهَا عَلَى كُلِّ شَيء -هناك قدرة يُسْتَطَالُ بها على كلِّ شيء- وَكُلُّ قُدْرَتِكَ مُسْتَطِيلَة، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ كُلِّهَا) القُدرة الَّتي نملكها هي من اسمِ القدير، وإلَّا من أين جاءت؟! كلُّ ما في هذا الوجود يعودُ في منابعه إلى الأسماء الحُسنى، وهم الأسماء الحُسنى، إمامنا الصّادق يقول: (نَحنُ واللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى) هم الأسماءَ الحُسنى، لن أتشعَّب

كثيراً في هذا المطلب ولكنَّني أعتقد أنَّني قرّبتُ الصورةَ أكثر وأكثر من خلالِ هذهِ الأمثلة، ومعَ ذلك الأمثلةُ الَّتي ذكرتها هي تُقرِبُ من وجهٍ وتُبعِّدُ من وجوهٍ كثيرة.
أنا لا أنفي معنى أنَّ الممتحنةَ يرتبطُ بالَّذي جرى على الصِّديقةِ الطَّاهرة، هذا المعنى لا أنفيه ولكن هذا المعنى يكونُ في الحاشية، كما قُلت: بأنَّ هذا الوجود على طبقات، هذا الوجود على مراتب، وأدنى هذهِ المراتب هو هذا العالم الَّذي نحن نعيشُ فيه.

هذه المضامين يُمكن أن تجمعها الكلمةُ الَّتي نُردِّدها في زياراتهم: (إِنِّي مُؤْمِنٌ بِظَاهِرِكُم وبَاطِنكُم) فهذا الظَّاهر لهُ مراتب، والباطن أيضاً لهُ مراتب، مراتب الظَّاهر كثيرة لا حصرَ لها، ومراتبُ الباطن أيضاً كثيرة لا حصر لها، وفي كلِّ مرتبةٍ من هذه المراتب تتجلَّى الأسماءَ الحُسنى بحسب تلك المرتبة، في مراتب الظَّاهر تتجلَّى الأسماءَ الحُسنى بما يُناسب الظَّاهر! وفي مراتب الباطن كذلك!

وأختمُ حديثي بهذه اللقطة:

هذه الصورة الَّتي حدَّثتنا عنها كُتب السِّير، كُتب التأريخ، لا أدري كيف أصفها؟! وهي تُحدِّثنا عن الصِّديقة الطَّاهرة صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليها، هناك لقطة جاءت في كتابٍ ربّما ليس معروفاً كثيراً، كتاب عنوانهُ: (مؤتمر علماء بغداد) قد لا يكونُ متداولاً بكثرة، نقاشٍ بين مجموعة من شخصيات شيعيّة وشخصيات مخالفة، ووصل الحديث في هذا النقاش إلى ما جرى على الصِّديقةِ الطَّاهرة بين البابِ والجدار، وهنا ينتقلُ الحديث إلى أنَّ المسمارَ نبتَ في صدرها الشَّريف وأنَّ فاطمة رفعت صوتها مُستغيثةً: (أَبَتَاه يَا رَسُول الله تَعَال وَانْظر إِلى مَا فَعَل ابْن الخَطَّاب وابْن أَبِي قُحَافَة -بحسب هذا المصدر صوت عمر يرتفع- أن اضربوا فاطمة، فينهالون عليها بالضرب حتَّى يُدْمُوهَا) في مصادر أخرى عدد الَّذين ضربوا فاطمة وهجموا على بيتها كان عددهم ثلاث مئة! وهؤلاء كلُّهم شاركوا في عملية ضربها وإدمائها، الرِّوايات تُحدِّثنا: أنَّها ضُربت على ظهرها وضُربت على جنبيها وأنَّها أُنْهِكَت من الضرب!! أُنْهِكَت أي أنَّها كادت أن تفقد وعيها من الضَّرب، هذا المراد من أنَّها أُنْهِكَت.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى فَاطِمَة وأَبِيهَا وبَعْلِهَا وبَنِيهَا والسِرِّ الـمُسْتَودَعِ فِيهَا..

أَسْألكم الدُّعاءَ جَميعاً..

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا ونَبيِّنا مُحَمَّدٍ وآلهِ الأَطيَبِين الأطهرين..

وفي الختام:

لابُدّ من التنبيه إلى أنّنا حاولنا نقل نصوص المجلس كما هي وهذا المطبـوع لا يخلـو مـن أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل المجلس بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

الـمُتابَعة

القمر

1438هـ

2017 م

أحاديثٌ في الفناء الفاطميّ - ألمانيا: المجلس الأول ... متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع القمر
www.alqamar.tv